الاكتفاء المادي عند الدعاة

منهج نبوي ووجوب الاقتداء به

أبو محمد
فهد بن عبد الله السعيدي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الاكتفاء المادي عند الدعاة

منهج نبوي ووجوب الاقتداء به

أبو محمد
فهد بن عبد الله السعيدي

تنسيق وإخراج: خيال جرافيك +967775727554

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾

[الأنعام:٩٠].

وإني لــراضٍ عــن فتــىً متعفــفٍ

يبيـت ويغـدو ليـس يملـك درهمـا

يبيـت يراعـي النجـم مـن سـوء حالـه

ويصبــح طلقًــا ضاحــكًا متبــسما

ولا يســأل المثريــن مــا بأكفهــم

ولــو مــات جوعًــا عفــةً وتكرمــا

(الجرجاني)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، الحمد لله وحده، الحمد لله فاطر السماوات والأرض، والصلاة والسلام على خاتم النبيين محمد بن عبد الله، والصلاة والسلام على جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى من اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد:

فإن الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام مطلوب كل مسلم ومسلمة، وأشد الناس طلبًا للاقتداء بهم ذوو الهمم الرفيعة والأنفس العالية، وأولى الناس أن يُخاطب بالاقتداء بهم من أخذ ميراثهم وجدَّ في طلبه حتى ناله؛ فلا يحسن بمن ورَّثه اللهُ تركة قوم أن يجعلها معطلة لا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تنمى ولا تحرس ولا يحافظ عليها؛ وميراث الأنبياء هو العلم والعمل الصالح؛ بل العمل ثمرة العلم؛ فمن أخذ علمهم خوطب بمقتضاه، ومن أخذ سبيلهم في الدعوة خوطب بما كانوا عليه في دعوتهم لله عَزَّوَجَلَّ.

ولما كان العلم الشرعي عبادة من أعظم العبادات وأجلها فمن حقه أن يطهر من الأطماع الدنية الدنيوية، وأن يترك له المشتبهات؛ بل يترك له بعض المباح الذي قد يسقط طالب العلم والداعية من أعين بعض الناس.

وهذه رسالة مختصرة فيها نصيحة لطالب العلم؛ وهي نصيحة لي أولاً ثم لأخواني؛ جمعت فيها نصوصًا وتأملات في حال الأنبياء في الدعوة والعمل؛ بل في النشأة قبل أن يعطوا النبوة؛ حالهم من ناحية استغنائهم بالله عن كل ما سواه؛ لعل الله أن ينفع بها من شاء من طلبة العلم.

اعلم أخي -وفقك الله- أنه ما نبي إلا وقد باشر قومه وصارحهم بعبارة واضحة جلية لا تورية فيها ولا كناية؛

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقد اتفقت كلمتهم على قولهم لأقوامهم: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾، أي من مال، وقال نوح: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾.

فلماذا قال الأنبياء ذلك لأقوامهم؟

قالوا لهم ذلك؛ ليظهروا أنهم لم يأتوا لطلب شيء من الدنيا، قالوا لهم ذلك؛ ليظهروا عزة الدعوة إلى الله، وأنها لا تريد درهمًا واحدًا، بل ولا فلسًا على استجابتهم لها.

إنها دعوة للكريم الرزاق فلا ينبغي أن يظهر فيها شيء من طمع الدنيا ولو دقَّ.

إنها دعوة كبيرة للكبير المتعال فلا ينبغي لمن كانت أقل عنده من جناح البعوضة أن تكون مطمعًا بهذه الدعوة.

إن الأنبياء علموا أن الناس جُبلوا على حب الدنيا والحرص عليها، وعلموا أن الناس تحب اتباع الأمر الذي لا يجعل ما في جيوبهم وخزائنهم مطلبًا له؛ علموا أن حرص الداعية على الدنيا يكون عائقا لاستجابة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس للإسلام إن كان يريد منهم أمرًا ماليًّا لصالحه وليس لصالحهم.

وقد عُلم أن الناس تتبع الرجل إن كان أحد رجلين؛ إما أن يكون غنيًّا غنى مال، أو يكون غنيًّا غنى نفس مستغنٍ عما عندهم.

فالأول حال الملوك فقلَّ أن تجد ملكًا إلا اتبعه الناس لما عنده من المال، ومنهم من دعا قومه لما يخالف الفطرة مخالفةً تامّةً فاستجابوا له لأجل ماله؛ مثل فرعون ونمرود وملك نجران الذي حرق المؤمنين بالأخدود؛ فهؤلاء الملوك دعوا أقوامهم لعبادتهم وأنهم آلهة من دون الله؛ فاستجابوا لهم لما عندهم من المال؛ وقد ذُكِر في قصة عمرو بن لحي الخزاعي أنه كان رجلا غنيًا، وكان يملك أكثر من عشرين ألف بعير، ولما غيَّر دين إبراهيم وأدخل الشرك والأصنام إلى مكة استجاب له الناس لغناه وتركوا دين الفطرة؛ وتركوا ما وجدوا عليه آباءهم من التوحيد والإيمان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أما من كان غنيّ نفس ومستغنٍ عما في أيدي الناس فالأنبياء عليهم الصلاة والسلام كانوا على هذا الحال منذ نشأتهم إلى وفاتهم عليهم الصلاة والسلام، وقليل منهم من جمع له بين غنى المال مع غنى النفس مثل داود وسليمان ويوسف عليهم الصلاة والسلام.

ولو تأملنا ملازمة الأنبياء لهذة الكلمة: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ﴾ يدل على أنهم لم يفرطوا بها؛ فقد جعلوها ضمن البلاغ الذي كلفهم الله به؛ لتكون دعوتهم لا تُخيفُ غنيًّا على ماله؛ ويرجوها الفقير ليزداد بها عزًّا وشرفًا وكرامةً.

واعلم يا أخي -رحمك الله- أن الله ذكر في سورة الأنعام ثمانية عشر نبيًّا في ثلاث آيات، ثم قال للنبي ﷺ بعدها: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ [الأنعام:٩٠].

فتأمل كيف أمره الله بالإقتداء بهم؛ ثم قال له مباشرة: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ ٩٠﴾ ؟ !

www.alukah.net
شبكة الألوكة

إن الله تعالى يريد من نبيه ﷺ أن يكون أول اقتدائه بالأنبياء من قبله في الدعوة أن يقول للناس: ﴿لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

ما أعظمها من وصية من الله لعبده وصفيه محمد ﷺ، إنها وصية خالق حريص على إيمان الناس واتباعهم لنبي كان أحرص الناس على أمته.

فما كان من النبي ﷺ -فداه أبي وأمي ونفسي وأهلي- أن استجاب لهذه الوصية وعمل بها أتم عمل بل قد زاد عليها حين جهر بدعوته؛ فقد قام على الصفا فنادى في قريش كلها ثم قال: «**يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا، سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**»، فتأمل ما هي مناسبة بيان أنه نذير لهم مع قوله لهم: «**سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ**»؟! فذِكْر هذا الأمر في غاية الأهمية عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ؛ حتى لا يظن ظانٌّ أن محمدًا جاء لطلب دنيا.

وكان مما قاله لقريش كلها «**إِنِّي لا أَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللهِ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شَيْئًا ، غَيْرَ أَنَّ لَكُمْ رَحِمًا سَأَبُلُّهَا بِبَلالِهَا»[١] أي أصلها وصلاً عظيمًا كما ينزل المطر الذي يبل الأرض فيخرج منها الثمر العظيم؛ فإني سأصلكم وصلاً يثمر المحبة والمودة. فأشار إليهم أن دعوتي لا تحتاج لما عندكم من الدنيا بل أنتم المحتاجون للإيمان الذي أدعوكم إليه؛ فالرب الذي أدعو إليه غني عنكم وأنتم محتاجون إليه، وأنا غني عنكم ومستغنٍ بالله عنكم، وسأصلكم أعظم الوصل وأدومه.

فالنبي ﷺ قد فعل ما أُمِر به من الاقتداء بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام في هذا الأمر؛ فقد تضمن قولُه «سَلُونِي مِنْ مَالِي مَا شِئْتُمْ» قولَ: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ وزيادة.

وقد كان النبي ﷺ في كل حياته على هذا؛ لسانه تنطق به، وجوارحه تعمل به، وقلبه عاقد عليه لا يتطرق إليه

---

(١) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٤١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن يخلف هذا الوعد؛ حتى رحل وليس لديه شيء إلا شيء لا يستحق أن يذكر؛ فقد جاد بكل ماله بعد أن أتته الدنيا إلى بين يديه؛ حتى كان قبل موته أفقر مما كان قبل البعثة؛ مع كثرة دواعي النفقة في آخر حياته حيث كانت له أكثر من عشرة من البيوت -بيوت زوجاته وإمائه- يعيلها، بخلاف قبل البعثة حين كان له بيت واحد فقط.

فحياته في النبوة كانت أقل عيشًا من حياته قبلها، أتته النبوة فصرف عن نفسه الدنيا حتى خرج من الدنيا بلا شيء، لم تزده النبوة مالا، بل صيرته من الأغنياء إلى أصحاب الكفاف؛ حتى لا يطعن أحد في أنه حاز بنبوته شيئًا من متاع الدنيا.

فهذا ميراث محمد ﷺ يا من تريد ميراثه!

وقد خصَّ الله تعالى نبيه ﷺ بأمر؛ وهو أنه حرَّم عليه أن يعطي أحدًا عطاءً يريد به الاستكثار؛ فلا يمنن على أحد ولا يهديه ولا يعطيه ولا يهبه ولا يحسن إليه من أجل أن يكافئه أكثر مما أسدى إليه؛ فقال تعالى:

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾ [المدثر:٦]؛ أي لا تعطي أحدًا شيئًا تريد به أن يكافئك عليه؛ بل أنفق دون أن يخطر بالك بمكافأة وزيادة من الذي أعطيته؛ ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر:٧] فالصبر أوسع وأجزل ما أعطي العبد، فاستعن بالصبر فنعم المعين على قضاء حوائجك، وكان نزول سورة المدثر في أول البعثة بل قال جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هي أول ما أنزل من القرآن؛ فكلفه الله إنذار الناس ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ وكلفه أيضًا ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦﴾؛ فكان هذا التكليف مناسب في أول الدعوة لكيلا يظن أحد أنه أراد الدنيا.

ولما جاء النبي ﷺ بالشرائع العظام لم يشرِّع الله لنبيه أمرًا ماليًا خالصًا؛ ليظهر الله للناس أن محمدًا ﷺ لم يأتكم بأمر يستفيد منه هو خاصة، أو يستفيد منه مثلما يستفيد غيره.

فالزكاة والصدقة شرعهما الله عَزَّوَجَلَّ وحض عليهما في نصوص كثيرة وحض عليهما النبي ﷺ وذكر لهما فضائل كثيرة جدا جدا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ومع ذلك حرم الله عليه الصدقة كما حرمها على الأنبياء قبله؛ بل حرمها على آل بيته وهم كثيرون وحرمها على مواليهم؛ لماذا؟! لحكم كثيرة منها: أن الله يريد أن يظهر للناس أن محمدًا ﷺ لم يشرع لكم أمرًا ليستفيد منه هو أو يستفيد منه أحد من آل بيته ومواليهم.

ولما حرم الله عليه الصدقة أحل له الهدية لكن كان يثيب عليها أكثر مما أهدي إليه؛ فعن عائشةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: «كان رسولُ اللهِ ﷺ يَقْبَلُ الهديَّةَ، ويُثيبُ عليها». رواه البخاري، فتأمل حتى لا يكون لأحد عليه منِّة؛ فيجازيَه بها؛ بل كان بعض الأعراب يتعمد إهداء النبي ﷺ ليحصل على أضعاف هديته من النبي ﷺ؛ ولما تسخط بعضهم مما كافأه النبي ﷺ ورَأَى أنه قليل همَّ النبي ﷺ أن لا يقبل هدية إلا من بعض القبائل التي تهديه ولا تريد بذلك الزيادة ولا تتسخط مما كافأهم على هداياهم.

ففي سنن الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ أَعْرَابِيًّا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَهْدَى لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بَكْرَةً فَعَوَّضَهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَتَسَخَّطَهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ فُلَانًا أَهْدَى إِلَيَّ نَاقَةً فَعَوَّضْتُهُ مِنْهَا سِتَّ بَكَرَاتٍ فَظَلَّ سَاخِطًا، لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ لاَ أَقْبَلَ هَدِيَّةً إِلاَّ مِنْ قُرَشِيٍّ أَوْ أَنْصَارِيٍّ أَوْ ثَقَفِيٍّ أَوْ دَوْسِيٍّ**». وعند الحميدي: أن النبي ﷺ أعطى هذا الأعرابي تسع بكرات فرضي. فتأمل هذا الحديث حيث لا يريد نبينا وقدوتنا أن تكون لأحد عليه منَّة وعلى دعوته ودينه؛ حتى قصر قبول الهدية على من علم منه أنه لا يتسخط إن كافأه عليها.

فالنبي ﷺ يعْظُم عليه أن يتهمه شخص بالبخل وقد قال في حديث ثابت عنه: «**وأي داءٍ أدوى من البخل**»، فالأنبياء كرماء أجواد لا يمكن أن يخطر ببال عدو لهم أو صديق أنهم بخلاء.

ومع قبول النبي ﷺ للهدايا ممن لا يسخطون ما يعطيهم؛ كان يأخذ منها ما يحتاجه تطييبًا للمهدي، ويعطي باقيها للفقراء من أهل الصفة وغيرهم فعن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أن النبي ﷺ إِذَا أَتَتْهُ صَدَقَةٌ بَعَثَ بِهَا إِلَيْهِمْ وَلَمْ يَتَنَاوَلْ مِنْهَا شَيْئًا، وَإِذَا أَتَتْهُ هَدِيَّةٌ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ وَأَصَابَ مِنْهَا وَأَشْرَكَهُمْ فِيهَا» يعني أهل الصفة. رواه البخاري(١).

ومما أحل الله لنبيه ﷺ الخمس من الغنيمة والفيء؛ لأنهما لا يوجد في كسبهما لأحد عليه منة، بل كان المسلمون يُنصَرون به، وكان في مقدمتهم في تلك المعارك، بل كانوا يحتمون به حين يحمى الوطيس؛ فكان خمس خمس الغنيمة والفيء من كسب يده ﷺ؛ بل أول معركة كانت فيها غنائم كبيرة وهي معركة بدر كان من أقوى أسباب الانتصار فيها أن أخذ النبي ﷺ بيده كفًّا من تراب فرماه في أعين المشركين فأصابت كلَّ عينِ رجل منهم؛ وهي التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾؛ فكانت الدبرة على المشركين والنصر للمسلمين من بعد هذه الرمية التي رماها ﷺ.

---

(١) «صحيح البخاري» (٨/ ٩٦) ح (٦٤٥٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأما أكبر معركة غنم فيها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم غنائم كثيرة عظيمة فهي معركة حُنين، وقد انهزم المسلمون في بداية الأمر وثبت النبي ﷺ ثباتًا لا مثيل له؛ حيث تقدم حين أدبر الناس ويسمي نفسه بأعلا صوته: «**أنا النبي لا كَذِب، أنا ابن عبد المطلب**»؛ ليعرفه من لم يكن يعرفه من أعدائه؛ فأخذ كفًّا من تراب فرمى بها أعين الكفار وقال: «**شاهت الوجوه**»، فلم تخطأ عين أحد منهم؛ فكانت تلك الرمية بداية الفتح والنصر على الكفار(١).

فما كان من غنائم أحلت له في تلك المعركة إلا من

(١) وبهذا يتبين لك أن نصر الإسلام على العرب ابتدأ بقبضة تراب بكف النبي ﷺ وانتهى بقبضة تراب!؛ فلم تحدث مع العرب معركة بعد حنين؛ وهذا يدل على أن الله قادر أن ينصر رسوله ﷺ بأبسط الأسباب ويجعله يتغلب عليهم بأيام معدودات، ولكن يريد الله خيرًا ورحمة للمؤمنين؛ حيث شرع لهم شرائع ينصرونه بها مثل الجهاد والصدع بالحق؛ ليزدادوا بها قربًا من الله ورفعة عنده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وليظهر للناس الصادق من الكاذب؛ فلولا هذه الشرائع لما عرف المنافق من المؤمن في الدنيا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كسب يده؛ بل غنائم المسلمين فيها كانت من كسب يده؛ لأنه هو سر النصر وسببه؛ إذن فلا منَّة لأحد عليه في هذا بل له المنة عليهم ﷺ؛ والمنة لله على نبيه حين أيده بنصره وإمداده بالملائكة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ومع ذلك فقد قام النبي ﷺ في الناس عدة مرات ليبين لهم مآل الغنيمة والفيء الذي أحله الله له؛ فعن ابن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «لَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ حُنَيْنٍ فَسَأَلَهُ النَّاسُ وَرَهَفُوهُ، فَحَاصَتْ بِهِ نَاقَتُهُ فَأَخَذَتْ شَجَرَةٌ بِرِدَائِهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**رُدُّوا عَلَيَّ رِدَائِي، أَتَخَافُونَ عَلَيَّ الْبُخْلَ فَوَاللهِ لَوْ أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ سَلَمٍ[(١)] تِهَامَةَ نَعَمًا لَقَسَمْتُهَا بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لا تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلا كَذَّابًا وَلا جَبَانًا**». ...ثُمَّ رَفَعَ ﷺ وَبَرَةً مِنْ ذِرْوَةِ سَنَامِ بَعِيرٍ، فَقَالَ ﷺ: «**مَا لِي فِيمَا أَفَاءَ اللهُ عَلَيْكُمْ وَلا مِثْلُ هَذِهِ إِلا الْخُمُسَ، وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ**»[(٢)].

---

(١) أي: شجر كما في روايات أخرى.

(٢) «أخبار مكة» للفاكهي (٥/ ٦٠) ح (٢٩٠٠). وهو حديث في السنن وغيرها عن عدة من الصحابة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فتأمل هذا الحديث حيث بيَّن لهم أنه لم يحلَّ له إلا الخمس ثم قال: «**وَالْخُمُسُ مَرْدُودٌ فِيكُمْ**»! فما أكرمه وما أعظمه؛ يرده فيهم أي في مصالحهم وليس له منه في مصالحه إلا ما يقيم عيشه هو وأهل بيته؛ حتى كان يتكفل بقضاء ديون المسلمين وإن كانوا تركوا مالاً؛ فالدين يقضيه هو ﷺ، ومال الميت يكون لورثته؛ فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فَتَحَ اللهُ عَلَى رَسُولِ الله ﷺ قَالَ: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، فَمَنْ تَرَكَ دَيْنًا فَعَلَيَّ قَضَاؤُهُ وَمَنْ تَرَكَ مَالًا فَلِوَرَثَتِهِ**»[1]. فانظر هذا التعميم على كل مؤمن؛ نعم فتح الله عليه بعد أن كان قليل المال، لكن بمقابل ذلك كثر المؤمنون ودخل الناس في دين الله أفواجًا، فعمم هذا الأمر مع كثرة من يموت ويترك الدين؛ امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿**ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡ**﴾ [الأحزاب:٦]؛ وفي قوله ﴿**مِنۡ أَنفُسِهِمۡ**﴾: يشمل نفس صاحب الدين فالنبي ﷺ أولى بتسديد دينه من نفسه؛

(١) «سنن أبي داود» (٣/ ٢٤٧) ح (٣٣٤٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أي مال النبي ﷺ أولى بالتسديد من مال المؤمن الميت الذي عليه دين؛ ويشمل ﴿مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾: ورثته وأقاربه وأرحامه وغيرهم.

فالله عَزَّوَجَلَّ فتح على نبيه ﷺ وكان النبي ﷺ يأخذ من هذا المال الكفاية ولا يدخر منه شيئا؛ حتى كان بيته لا فرق بينه وبين بيوت الفقراء من حيث الوجود والعدم.

بل إنه ﷺ منع فلذة كبده فاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا من الغنائم التي أفاء الله عليه، فعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ فَاطِمَةَ كَانَتْ حَامِلاً، فَكَانَتْ إِذَا خَبَزَتْ أَصَابَ حَرْفُ التَّنُّورِ بَطْنَهَا فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ تَسْأَلُهُ خَادِمًا فَقَالَ: «**لا أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تُطْوَى بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ أَوَلا أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟ إِذَا أَوَيْتِ إِلَى فِرَاشِكِ تُسَبِّحِينَ اللهَ تَعَالَى ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتَحْمَدِينَهُ ثَلاثًا وَثَلاثِينَ وَتُكَبِّرِينَهُ أَرْبَعًا وَثَلاثِينَ**»[(١)] رواه أبو نعيم والحديث في مسلم بمعناه.

---

(١) «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» (٢/ ٤١). و«فضائل الصحابة» لأحمد بن حنبل (٢/ ٧٠٥) ح (١٢٠٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فهذه ابنته سيدة نساء العالمين في حال شدتها وحاجتها يردها ويرشدها إلى الإستعانة بالله -ونعم المستعان به-؛ ليبين للناس أن هذه الشرائع التي شرعها الله لم يكن المقصود منها نفع الدعاة إليها.

ولما أسقط النبي ﷺ أمور الجاهلية وذحولها؛ بدأ بآل بيته فأسقط دم ابن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، وأسقط ربا عمه العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ولم يكتفِ بإسقاط الربا وإبقاء رأس االمال للعباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بل أسقطه كله؛ رأس ماله مع فوائده؛ ليظهر للناس: أن هذا الدين لم آتي به لنفعٍ دُنْيَويٍّ لي ولا لآل بيتي.

وقد حمى الله نبيه من الدنيا ونهاه عن النظر الطويل في أصنافها، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١]؛ فهذا نهي للنبي ﷺ عن إطالة النظر في أي شيء من أصناف الأموال التي متَّع اللهُ بها عباده؛ فلا يطيل النظر ويصوِّبه في القصور ولا في المراكب ولا في الأنعام

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولا الملابس وغيرها؛ وقد جاء في تفسيرها أن رَسُول الله ﷺ مر بِإِبِل حَيٍّ يُقَال لَهُم بَنو الملوح أَو بَنو المصطلق قد عنست فِي أبوالها من السّمن؛ فتقنع بِثَوْبِهِ ومرّ وَلم ينظر إِلَيْهَا لقَوْله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ﴾. وعَن سُفْيَان بن عُيَيْنَة قَالَ: من أعطي الْقُرْآن فَمد عَيْنَيْهِ إِلَى شَيْء مِنْهَا فقد صغر الْقُرْآن. ألم تسمع قَوْله: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الحجر:٨٧-٨٨] وإِلَى قَوْله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه:١٣١] قَالَ: يَعْنِي الْقُرْآن[1].

هذا في حياته ﷺ أظهر عزة الدعوة وأنها جاءت لنفع الناس ولم تأتِ لينفعها أحد، أو يُحصِّل الدعاة منها منفعة ومنة ومالا من الناس. فهذا هو محمد ﷺ يا من سلك سبيله في الدعوة الله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٥/ ٩٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِي﴾.

فلم يخرج ﷺ من هذه الدنيا وأحد له منة عليه في دنيا إلا ما كان من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فقد كافأ جميع الناس حتى الذين أحسنوا إليه في الجاهلية؛ فعمه أبو طالب الذي كفله سنوات قليلة ثم كان النبي ﷺ يرعى الأغنام على قراريط لقريش فأصبح مستغنٍ عن عمه، ثم كان يتاجر في شبابه حتى صار من الأغنياء؛ فرد لعمه الجميل أن قام بكفالة علي بن أبي طالب حين اشتد الفقر على أبي طالب.

وحتى رأس النفاق عبد الله ابن أبي سلول صنع معه النبي ﷺ الجميل الكثير، وكان آخرها أن أخرجه من قبره وألبسه ثوبه، فعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الأَنْصَارَ أَرَادُوا أَنْ يُكْرِمُوا الْعَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمْ يَصْلُحْ عَلَيْهِ إِلاّ قَمِيصُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُبَيٍّ فَكَسَاهُ إِيَّاهُ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُبَيٍّ أَلْبَسَهُ النَّبِيُّ ﷺ قَمِيصَهُ وَتَفَلَ عَلَيْهِ مِنْ رِيقِهِ»، قَالَ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سُفْيَانُ: قِيلَ: إِنَّهُ بِمُكَافَأَةٍ لِقَمِيصِ الْعَبَّاسِ[١]. فلما كان العباس عم النبي ﷺ بمنزلة أبيه رد النبي ﷺ لابن أبي سلول صنيعه مع العباس بأعلا مما أعطى العباسَ وهو ثوبه ﷺ.

ولهذا لم يوجد أحد في آخر حياة النبي ﷺ إلا وليس له منة على النبي ﷺ إلا ما كان من أبي بكر الصديق رضي الله عنه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **«مَا لأَحَدٍ عِنْدَنَا يَدٌ إِلاَّ وَقَدْ كَافَيْنَاهُ مَا خَلاَ أَبَا بَكْرٍ فَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا يَدًا يُكَافِئُهُ اللهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَمَا نَفَعَنِي مَالُ أَحَدٍ قَطُّ مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ..»**[٢].

وفي «الصحيحن» عن أبي سعيد قال: قال النبي ﷺ في آخر حياته: «**إنَّ من أمنّ الناس عليَّ في ماله وصحبته أبو بكر**». والسر في ذلك والله أعلم: ليبقى فضله عظيمًا عند الله وعند النبي وعند الأمة، ويخصه النبي ﷺ بخصيصة

(١) «الآحاد والمثاني» لابن أبي عاصم (١/ ٢٦٩) ح (٣٤٨).
(٢) «سنن الترمذي» ت بشار (٦/ ٥٠) ح (٣٦٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ليبرز للناس فضله؛ وأن الله هو من يكافئه وشتان بين من يكافئه الرسول ﷺ من متاع الدنيا وبين من يكافئه الله في الآخرة. وإلا فقد أتت للنبي ﷺ أموالٌ كثيرة فلو شاء كافأ أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولكن جعل مكافأته لله الكريم الكافي.

ومن الحكم في ذلك ليبين النبي ﷺ أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أبعد الأمة عن أن يمن على الرسول ﷺ فأمِن جانبه من المنة؛ وإن كان قد أمنها النبي ﷺ من صحابته الكرام مثل عمر وعثمان وعلي وغيرهم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ إلا أن أبا بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان أكثرهم أمانًا منها.

ولما مرض النبي ﷺ مرض وفاته أخرج كل نقد معه في بيته فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتِ: اشْتَدَّ وَجَعُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وعنده سَبْعَةُ دَنَانِيرَ أَوْ تِسْعَةٌ فقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلَتْ تِلْكَ الذَّهَبُ**» فَقُلْتُ هِيَ عِنْدِي قَالَ: «**تَصَدَّقِي بِهَا**» قَالَتْ فَشُغِلْتُ بِهِ ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَا فَعَلَتْ تِلْكَ الذَّهَبُ**» فَقُلْتُ هِيَ عِنْدِي فقَالَ: «ائْتِنِي بِهَا» قَالَتْ: فَجِئْتُ بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ ثُمَّ قَالَ: «**مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَوْ لَقِيَ اللهَ وَهَذِهِ عِنْدَهُ مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ أَنْ لَوْ لقي الله وهذه عنده»[(١)].

ولما أراد النبي ﷺ أن يوصي بالخلافة ويكتب بذلك كتابًا لم يختر أحدًا من آل بيته ولا لَمَّح لهم بذلك مع أن فيهم أكفاء ونعم الرجال كانوا هم، مثل: علي والعباس رضي الله عنهم؛ بل جعلها في رجل بعيد النسب عنه وهو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الذي يلتقي معه في الجد السادس؛ ليظهر للناس أني لم آتِ لنفع دنيوي لرجل من آل بيتي في حياتي أو بعد مماتي.

هذا هو محمد ﷺ الكريم الذي لم تعرف الأرض مخلوقًا أكرم منه، وأبرأ من كل تهمة في دينه ودنياه.

وقد أحسن أبوهريرة رضي الله عنه حينما صحب النبي ﷺ على ملء بطنه ليأخذ عنه الحكمة والحديث؛ فقد اختار أن يكون صاحب المنة عليه خير خلق الله؛ الذي رِزقُه

(١) «صحيح ابن حبان» (٢/ ٤٩١-٤٩٢) ح (٧١٥). وقال: الشيخ شعيب إسناده حسن.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أحلُّ حلال في الدنيا؛ فكما كان ﷺ معلمه والمانَّ عليه بصحبته كان كذلك هو المانَّ عليه بدنياه؛ فنعمت المنة من نبي كريم لم يطأ الأرض أحد أكرم منه؛ وكان النبي ﷺ لأمته مثل الوالد؛ يعلمهم وينفق على المحتاجين كما يصنع الوالد لأبنائه وزيادة.

ولهذا لم يصحب أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أحدا بعد النبي ﷺ على ملء بطنه، ولا أبا بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ بل كانت تلك مرحلة مستثناة من حياة أبي هريرة ﷺ تستحق أن يعيش ببؤس ليأخذ علم النبي ﷺ الذي قد دنا رحيله؛ فقد قام بعد ذلك بنفسه حتى أنه في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَلِك مالاً عظيمًا قبل أن يوليه عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ولاية البحرين.

ومما ينبغي أن يذكر أن الله شرع لأنبيائه حلالاً كثيرًا وكسبًا كثيرًا مما عملوه بأيديهم ومما أهدي إليهم وزاد عليهم النبي ﷺ أن أحل الله له الغنائم والفيء، ومع ذلك لو ترك الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ما تركوا من

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأموال فليس لأموالهم وارث بل كل ما تركوه صدقة لله تعالى، تجعل في مصالح المسلمين؛ ففي الحديث: «إِنَّا مَعْشَرَ الأَنْبِيَاءِ لا نُورَثُ مَا تَرَكْنا صَدَقَةٌ». وقال: «لا تَقْتَسِمْ وَرَثَتِي دِينَارًا، مَا تَرَكْتُ بَعْدُ نَفَقَةَ أَهْلِي، وَمَؤُنَةُ عَامِلِي فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَلا تَقْتَسِمْ وَرَثَتِي دِينَارًا».

والحكمة من ذلك ليظهر الله للناس أن أنبياءه عليهم الصلاة والسلام لم يأتوا لجمع الدنيا لا لأنفسهم ولا لذريتهم؛ فمن المعلوم أن الإنسان يجمع الدنيا له ولذريته من بعده؛ فقطع الله هذا على أنبيائه ليزكيهم ويزكي دينه الذي يدعون إليه، وليعلم الناس أن هذا الدين رفيع عزيز غني عالٍ جليل.

وقد ذكر الله أنه أعطى بعض أنبيائه فضلا كبيرا، مثل يوسف وداود وسليمان عليهم الصلاة والسلام؛ فليس لما تركوه وارث بل هو صدقة.

ومُلْك داود عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن عن تولية من الناس، بل كان الله هو الذي ولاه بعمل عمله داود استحق به أن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يكون ملكًا عليهم؛ حيث قتل جالوت ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ﴾ [البقرة:٢٥١] فحين قتله على يده جازاه الله الملك والنبوة (ملك طالوت، ونبوة أشمويل)[(١)]؛ بعد أن كان داود راعيًا للأغنام. وأما ملك سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كان تبعًا لملك أبيه لأنه لا يوجد أعلم ولا أفهم بعد داود منه؛ وجانب منة الأب على الإبن لا عيب فيها؛ كما هو الحال في منة داود على ابنه سليمان.

وقد ذكر الله أن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قال للملك مصر: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف:٥٥] وقد اختلف العلماء في هذا؛ فهل سأل الولاية أم لا؟ ووجهوها بتوجيهات عدة؛ وأحسن ما يقال في ذلك: إن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طلب نوع الولاية من ملك مصر بعد أن قال له ملك مصر: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾

---

(١) «تفسير الطبري» (٤/ ٥١٤). **وأشمويل**: هو النبي المذكور في قصة طالوت.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[يوسف:٥٤] فملكُ مصر مكنه من زمام الولايات في مصر؛ فاختار يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ ولاية يكون هو متفضل بها على ملك مصر؛ بل على شعب مصر بل على البلدان المجاورة لمصر؛ لأنهم قادمون على سنين عجاف؛ على سني جوع وقحط وبلاء عظيم؛ فاختار هذه الولاية ليحفظ للناس قوت السنين الشديدة من قوت سنين الخير والبركة؛ بل حفظ لهم ما يحتاجونه من أدم على الطعام(١)؛ إذن فيوسف صاحب منة عليهم في منصبه هذا؛ فقد كان حفيظًا لخزائن مصر عليمًا بمصارفها ومن يستحقها وتقدير احتياجات الناس خلال سنين الشدة.

وكذلك يقال: إن يوسف عاجَلَ ملكَ مصر واختار ولاية ينفع بها الناس؛ فربما لو كان سكت لولاه ولاية

(١) في الرؤيا ذكر سبع بقرات وذكر سبع سنبلات؛ فالبقر إشارة للإدام من لبن ولحم وسمن؛ والسنبلة إشارة للحبوب بجميع أشكالها؛ وقوله على خزائن الأرض يشمل جميع خزائن الأموال من ثروة زراعية وحيوانية. ويدل عموم اللفظ أنه حفِظَ قوتَ الناس وقوتَ الحيوانات لتعيش.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

خاصة في بيت الملك يكون فيها محتجبا عن الناس؛ وفيه الإشارة بقوله: ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤] يجعله خالصًا له، ومن عادة الخالص الاستئثار به على الناس؛ فاختار أمرًا يبرز فيه للناس ليعلمهم ويرشدهم، حتى كان يلتقي بمن يأتي من خارج البلد ويستقبله كما وقع له مع أخوته، ولم يكن أحد من الأنبياء يحتجب عن الناس.

ولما كان يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خالصًا لله تعالى وسبق أن الله استخلصه لنفسه بقوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف:٢٤]، أراد اللهُ له بهذا المنصب الحرّ أن يخرجه من استخلاص الملك له؛ ﴿وَقَالَ ٱلْمَلِكُ ٱئْتُونِي بِهِۦٓ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِى﴾ [يوسف:٥٤]؛ فحينما أراد الملك أن يجعله خالصًا له لا يشاركه فيه أحد ألهم اللهُ يوسفَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ باختيار هذه الولاية التي تنافي استخلاص هذا الملك الكافر له؛ ومن كان لله فلا ينبغي أن يكون لغيره؛ فأكذب اللهُ ملكَ مصر وصدق قولُه: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكانت هذه الولاية تاريخًا مشرقًا ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ قبل أن يرسل إلى أهل مصر؛ حيث نفعهم في دنياهم؛ والناس تحب وتميل إلى من ينفعهم في دنياهم أكثر ممن ينفعهم في دينهم؛ فكانت مقدمة ليوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى صار بينهم صادقًا أمينًا كما كان محمد ﷺ بين أهل مكة قبل النبوة.

وكانت هذه الولاية الظاهرة للناس سببًا في لقاء يوسف بأخوته ثم بأبويه.

بل كانت هذه الولاية العظيمة سببًا كبيرًا في إيمان أهل مصر بيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ حينما جاءهم بالبينات؛ فآمنوا به، ومن كان في قلبه شك لم يتجرأ على إظهار شكه وكفره حتى توفي يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ولذلك بسبب مكانته في الدولة؛ قال مؤمن آل فرعون مخاطبًا قومه أهل مصر:

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾

www.alukah.net
شبكة الألوكة

[غافر:٣٤]؛ فطلبه الولاية سبيل عظيم لقبول دعوته ورسالته؛ فالناس تتبع ذوي الشرف والولاية أكثر من غيرهم.

ولهذا قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَآءُ ۚ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [يوسف:٥٦] فكانت ولايته تمكينًا ليوسف من الله وليس من ملك مصر، وكانت رحمة من الله بيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وأبيه وإخوته وأهل مصر، وكانت جزاءً ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ على عبادته لله تعالى وخشيته له، وحاشا أن يجازيَ اللهُ عبدَه المحسن بأن يجعله يختار عملاً لا يعينه عليه؛ فهذه منحة من الله ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عظيمة، أرادها الله له قدرًا وشرعًا؛ فوافق يوسفُ إرادة الله الشرعية والقدرية، فاختار الولاية.

وكانت ولاية يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ هذه نموذجًا للعدل بين الناس؛ حتى قال وهو الصادق المصدوق: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَنِّيٓ أُوفِي ٱلْكَيْلَ وَأَنَا۠ خَيْرُ ٱلْمُنزِلِينَ ﴿٥٩﴾﴾ [يوسف:٥٩] فنعم كان كذلك وحق له أن يقول هذا في نفسه؛ فرغم القحط والسنوات

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العجاف حفظ للناس ما يسدون به حاجتهم خلال سبع سنين؛ ولم يحفظ لهم ما يكفيهم بل حفظ لهم الزيادة؛ ولهذا كان يوفيهم الكيل؛ ويضيف من يأتيه وينزل عليه من البلاد البعيدة خير ضيافة وخير إنزال؛ وذلك بعكس ما تفعله الدول والحكام وقت الأزمات.

فتبين مما سبق أن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ أحسن غاية الإحسان في طلب نوع الولاية؛ فأعانه الله عليها أعظم إعانه ولم يكله إلى نفسه.

ومن تمام استغناء الأنبياء بالله أنهم كانوا يحبون الرزق الذي يكون من الله مباشرة دون أن يكون لأحد من الخلق فيه مدخل؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَانًا، خَرَّ عَلَيْهِ رِجْلُ جَرَادٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ يَحْثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّهُ يَا أَيُّوبُ أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى، قَالَ بَلَى يَا رَبِّ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى لِي عَنْ بَرَكَتِكَ**»[1].

(١) «صحيح البخاري» (٤/ ١٥١) رقم (٣٣٩١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولهذا رزق الله مريم رزقًا من عنده مع أن الذي كفلها زكرياء عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فمن الحِكَم في ذلك: حتى يكون هذا الجسد -الذي سيخرج منه نبيًا يكلم الناس في المهد- نابتًا من رزق الله الذي لا مدخل لأحد من الخلق فيه؛ بل حتى في ولادتها أكلت من رزق الله الخالص من رطب جني.

وفي كفالة زكرياء عَلَيْهِ السَّلَامُ لمريم بعد استهامه مع بني إسرائيل حكمة عظيمة من هذا القبيل؛ فجعل الله تربيتها وكفالتها على يد نبيٍ أبعد الناس عن أن يأتي يومًا فيمنَّ على مريم وعلى ابنها؛ فجعلها في كفالة كريم؛ فربما لو جعلت في كفالة غيره من بني إسرائيل لمنوا عليها وعلى ابنها بأن أجسادهما نبتت من أموالهم التي ربما خالطها الحرام، بعكس أموال زكرياء عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهذا مثلما حصل للنبي ﷺ في حضانته في بني سعد حيث دُرَّت على مرضعته البركات وعلى أهل زوجها وأنعامهم؛ فكان وجوده بينهم منة أعظم من إرضاعه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتربيته؛ مع أن حليمة أرادت أن تمن عليه في بادئ الأمر فأخذته على غضاضة؛ فكان هو المانَّ عليهم وليسوا هم.

وأما موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فلم يكن لفرعون -عدو الله- أي منة عليه؛ بل عاقبه الله بنقيض قصده؛ فنجاه الله بعد أن عزم على قتله؛ فجعله في كفالة ماله -الذي هو مال الله من قبل ومن بعد-؛ فأرغم الله أنفه أن يتربى فيهم سنين؛ بل نجاه الله من منتهم عليهم حين حرم عليه المراضع ورده ليرضع من ثدي أمه المؤمنة بالله؛ وإن كان لأحد من آل فرعون منة فهي للطاهرة النقية الكريمة آسية امرأت فرعون وهي من أبعد الناس عن المنة.

وحينما ادعى فرعون عدو الله أنه منَّ على موسى: ﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [الشعراء:١٨] رد عليه موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أنه موكل بالبلاغ الأكبر، لا بالرد على فرعون عن الأمور البعيدة عن الرسالة؛ لأجل أن يحمي شرف الرسالة وكرمها وأن

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبعد عن نفسه المنة التي وجهها له هذا العدو اللئيم؛ فقال له بكل فصاحة وعز: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾﴾ [الشعراء:٢٢] فقال: أنت تمن علي منَّة واحدة، ونحن بنو إسرائيل لنا المنن الكثيرة عليك حين استعبدتهم واستخدمتهم في الأعمال دون أن تعطيهم أجرًا، بل خدموك مجانًا؛ استعبدت بني إسرائيل (أي يعقوب) الذي أنجب يوسف عَلَيْهِمَا السَّلَامُ الذي أنقذكم الله به من مجاعة كادت تقضي على آبائكم أهل مصر؛ فلولا همُ ما بقي نسل لأجدادكم أيها اللئام المتنكرون لأصحاب المنة العظيمة.

وقيل تفسيرها: يعني: باستعبادك بني إسرائيل ربيتني وكفلتني، ومعناه: لولا أنك استعبدت بني إسرائيل ما وقعتُ إليك، وما ربيتني؛ فإنه قد كان لي من يربيني، وحقيقة المعنى دفع منته[1]. ويحمل على المعنيين ولا منافاة؛ والمقصود أن الرد على فرعون كان قويًا مفحمًا

(١) «تفسير السمعاني» (٤/ ٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

كبته كبتًا ولم يجعل له حجة من هذه الناحية.

أخي فاعلم أن التأسي بالنبي ﷺ والأنبياء عام في كل أمر وَرَد عنهم؛ إلا ما اختصوا به، فكلما سبق من الكلام أردتُ به تحفيز طالب العلم على التأسي بالنبي ﷺ والأنبياء عليهم الصلاة والسلام في ورعهم وزهدهم وإظهارهم عز الدعوة وشرفها؛ وليس أن تتأسى بهم فيما اختصو به مثل: تحريم الصدقة عليهم.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مناقشات لعدة مسائل:

أولاً: أخذ الأجرة على تعليم القرآن، ويدخل فيه ما كان تبعًا للقرآن من السنة وما دونها:

اعلم يا طالب العلم أن كثيرًا من الصحابة والتابعين كانوا يفسرون قوله تعالى: ﴿اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا﴾ بأنه أخذ الأجرة على تعليم الوحي.

واعلم أيضًا أن أكثر النصوص النبوية في هذا الباب تحذر من أخذ الأجرة على العلم وتحرمه، وأن أكثر السلف كانوا ينكرون هذا الأمر أشد الإنكار.

وأما نص: «إن أحق ما أخذتم عليه أجرًا كتاب الله» فهو في حادثة في رقية مع قوم مشركين، لو وقع مثلها فلا بأس ولا تعمم على تعليم المسلمين كتاب الله تعالى.

وكذا تعليم الرجل المرأة القرآن ويكون ذلك مهرًا،

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هو في حادثة من الأحسن أن لا نتوسع إلى غيرها؛ لأن الرجل تشوف وتشوق لنكاح المرأة، وليس عنده ما يعطيها من مهر؛ ولو تأخرت عليه ربما يقع في العنت ويقع في محذور أكبر.

أما طالب العلم فلا أظن أن يبلغ به الحال أن يقع في حرج كثير إن ترك الأخذ على تعليم القرآن، واستعان بالله ثم بعمل يده.

وأقل ما في هذا الأمر أن هذا من المشتبهات؛ ومن اتقى الشبهات فقد استبرأ لعرضه ودينه؛ وانظر كيف قدم النبي ﷺ العرض قبل الدين فقال: «**فقد استبرأ لعرضه ودينه**»؛ لأن عرض المرء يطعن فيه جميعُ الناس؛ أما دين المرء فيطعن فيه ممن يهتم بالدين من أهل العلم والصالحين وهم قليل.

وهناك قول ثالث ذكره المجد ابن تيمية في «المنتقى» جمعًا بين الأحاديث المختلفة في هذا الباب، وهو أن ذلك جائز لمن لم يكن فرضه التعليم، أي من تعيَّن عليه تعليمُ

www.alukah.net
شبكة الألوكة

القرآن فلا يحل له الأخذ عليه، وإن لم يتعين ووجد من يكفي يجوز له الأخذ على تعليمه.

وعلى هذا القول فلا حجة لطالب علم في هذا العصر؛ حيث لم تكتفِ الأمة بمعلمين للقرآن، والنقص كبير جدًا حتى نصل إلى الكفاية. والله المستعان.

ومما يرجح هذا أن حديث: «**إن خير ما أخذتم عليه أجرًا كلام الله**» وحديث تعليم الرجل المرأة القرآن ويكون مهرًا؛ أنهما واقعتان في أمور ليست من وظيفة البلاغ والتعليم العام ودعوة الناس؛ أما أحاديث تحريم الأخذ على تعليم القرآن فهي عامة في كل زمن، والمقصود الأول بها من تصدى للتعليم والدعوة.

لكن مع القول بجواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن؛ حتى عمَّ في أكثر طلبة العلم، وصار طالب العلم يَهِمُّ الوظيفة ويطلبها؛ مع القول بهذا ينبغي أن يتركه من رام أن يكون قدوة وإمامًا للناس؛ لأنه وإن قيل: بأن هذا لم يعدُّ معيبًا في هذا العصر خاصة عند

www.alukah.net
شبكة الألوكة

العوام كان العمل به أقل خطرًا على الدعوة وأخصر طريق للكسب المريح للطالب، مع هذا كله يقال: قد قال كل نبي عليهم الصلاة والسلام لقومه: ﴿وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ مع احتمال عيشهم في عصور لم يكن يعب أحد الأخذ على تعليم الخير؛ فقالوا هذا ليعلم الناس أنهم أصحاب دعوة عز وشرف؛ وأن إظهار عدم سؤال المال والأجر من أسباب قبول الدعوة وانتشارها.

ولو نظرنا لعصر نبينا محمد ﷺ؛ كان فيه الأحبار والرهبان وكانوا يأكلون بعلمهم الأموال الكثيرة؛ فلم يكن يعيب عليهم ذلك عوامهم بل كانوا يغدقون عليهم الأعطيات؛ فجاء نبينا ﷺ بعكس ما كان عليه الأحبار حيث قال للناس: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ بل أعطى الناس عطاءً عظيمًا؛ علمنا بهذا لزوم طالب العلم الاقتداء بالنبي ﷺ في هذا؛ فكما اتبع الوحي الذي جاء به؛ لزمه أن يتبع العمل بهذا الوحي والعمل في تبليغه.

واعلم يا أخي أن مدار بركة العلم وكثرته ونفعه

هو تقوى الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال:٢٩]، وَأخرج التِّرْمِذِيّ عَن يزِيد بن سَلمَة الْجُعْفِيّ أَنه قَالَ: «يَا رَسُول الله إِنِّي سَمِعت مِنْك حَدِيثا كثيرا أَخَاف أَن ينسيني أَوّله آخِره فَحَدثني بِكَلِمَة تكون جماعاً، قَالَ: اتَّقِ الله فِيمَا تعلم». وعَن زِيَاد بن جدير قَالَ: «مَا فقه قوم لم يبلغُوا التقى»(١)، ومن تعريف التقوى أن تجعل بينك وبين المحرمات وقاية، والوقاية من المحرمات ترك المشتبهات؛ وهذا أمر مشتبه جدًا؛ فأدلة تحريم أخذ الأجرة على تعليم القرآن والتَّأَكُل به كثيرة تبلغ حد التواتر، كما أن عمل السلف خاصة في عهد الصحابة كان على ذلك ولو ادعي فيه إجماعهم لم يكن بعيدًا.

ثانيًا: فتوى دخول طلب العلم في سبيل الله والتوسع فيها:

---

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢/ ١٢٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قد كان في عهد رسول الله ﷺ طلبة علم فلم يدخلهم في هذا النص؛ بل طالب العلم إن كان فقيرًا فله الزكاة بوصف الفقر وليس بوصف طلب العلم، أما إن كان غنيًّا فحرام عليه الأخذ من الزكاة.

وعلى القول بأنه في سبيل الله إلحاقًا بالمجاهدين؛ فنقول لهم ولكن أفضل الجهاد بذل النفس والمال؛ فكن أنت ومالك يا طالب العلم في سبيل الله كما هو شأن المجاهد.

وقد توسع بعض الطلاب في الترخص بهذه الفتوى حتى جمع الأموال خارج حاجته بحكم أنه في سبيل الله؛ **وقد كان المال قديمًا يعين على طلب العلم، والآن صار طلب العلم يعين على جمع المال عند بعض الطلاب،** والله المستعان.

والتعلل بأن الطالب متفرغ لطلب العلم؛ يقال: يصح إن وُجد طالبُ علم متفرغٌ للطلب لا يخرج عن الطلب إلا لأداء الحقوق الواجبة عليه لربه ولنفسه

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولأهله وغيرها من الحقوق الواجبة، أما أن تجد طالب علم لا يبذل من وقته إلا القليل لتحصيل العلم وباقيه في الانشغال في المباحات وفضول الأمور بل في اللعب والمزاح والإكثار من الرحلات والاجتماعات غير المفيدة والسهر على غير الخير، ثم يقول لك: أنا في سبيل الله فتجوز الزكاة لي! فهذا والله من المصائب العظيمة!.

فيقال له المجاهد في سبيل الله منذ أن يخرج فهو في سبيل الله إلى أن يرجع كل وقته في سبيل الله حتى لو ضحك ولعب وكانت معه امرأته يستمتع بها فهو في سبيل الله؛ فلا يقاس عليه من كان أكثر وقته في غير سبيل الله؛ ولو أن المجاهد ترك أمورًا تلزمه في الجهاد فقد أكل مالاً باطلاً من مال الزكاة المعد في سبيل الله؛ فما بالك بمن لا يدخل في النص -وهو طالب العلم- إلا من مكان بعيد؟.

واعلم أن من أحل لطالب العلم الزكاة أراد إذا انشغل بالعلم حتى لم يجد وقتًا لتحصيل ما يقيم عيشه؛

أما أن تجد أوقاتا واسعة تستطيع أن تبذلها بالتكسب المشروع، وتجعل هذه الأوقات في اللهو واللعب وأخذ راحة فوق الراحة المطلوبة؛ فلست داخلاً في فتوى من أفتى بالجواز.

قد يخطر على بال طالب العلم أني لو سعيت وراء الكسب سأترك كثيرًا من التحصيل العلمي؟

فيرد عليه بأجوبة عديدة منها:

- أن الشرع لم يأتِ بالأمور المتضادة؛ فلما رغَبْتَ في طلب العلم من أهله الذين هم أهله، كذلك فلتَرْغبْ في طلب الرزق من حلِّه الذي لا شبهة فيه، ولم تستثنِ الأدلةُ المرغبةُ في طلب الرزق بكسب اليد طالبَ العلم؛ بل هو أولى الناس بالعمل في جميع الأدلة.

- أن المقصود الأول بالعلم هو العمل، وأولى الأعمال أن تعمل بها أن يطيب مأكلك وملبسك ومسكنك؛ حتى تكون لك عونًا على العلم وعلى الفهم وعلى إجابة دعوتك؛ فربما تدعو «رب زدني علمًا» ومأكلك وملبسك

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حرام، فكيف يستجاب لك؟.

- أن العلم هبة من الله؛ فكثرة الإطلاع لا تورث علمًا ربانيًا ما لم تقترن بما يرضي الله؛ بل العلم الرباني نور يقذفه الله في قلب عبده الجاد في الطلب وهو تقي نقي متعفف صابر. فرُبَّ أكلة مشتبه بها تحرمك علمًا كثيرا، وتحرمك فهمًا واسعا؛ فأطب مطعمك واجعله من الطيبات فالله قد أمر الأنبياء الذين تريد الإقتداء بهم بأن يأكلوا من طيبات ما رزقهم، ثم أمرك أنت كما أمرهم.

ثم تأمل حال العلماء السابقين وسلف هذه الأمة فقد عاشوا بكد أيديهم، وأكثرهم عاش في أزمنة لا يوجد لهم بيت مال يرزقون منه؛ وأكثرهم لو وجد بيت المال تعفف عن ذلك وأكل من عمل يده؛ ولهذا تجد كثيرًا منهم ينسب إلى مهنته مثل الزيَّات والسمَّان والتمَّار والبزَّاز والبزَّار والنحَّاس والعطَّار والزعفراني والصيرفي.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم:

مما ينبغي أن يكون عليه طالب العلم حتى يكون ذا قدوة في الناس أن يكون كريمًا جوادًا سخيًّا باذلاً؛ فالكرم هو سيد الأخلاق الكريمة؛ ولهذا قال النبي ﷺ «**بعثت لأتمم مكارم الأخلاق**»، فتأمل سماها هنا بمكارم ويقصد بها جميع الأخلاق الحسنة؛ فاشتق لها اسمًا من الكرم لأنه ما من خلق طيب وإلا والكرم يغذيه، وما خلق رديء إلا والبخل يغذيه.

ولهذا الكرم والسخاء باب عظيم لتيسير العلم الرباني والفهم الصحيح؛ كما أن البخيل يتعسر عليه العلم الرباني والفهم الصحيح؛ ونبأ هذا في كتاب الله حيث قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠﴾[الليل:٥-١٠]، فتأمل هذه الآيات لما كان العطاء رأس المكارم قدمه الله على التقوى والتصديق بالحسنى؛ لأن أولى الناس بالتقوى والتصديق بالوحي هم أهل الكرم، وهذه الآيات نزلت في أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فبسبب سخاءه جعلت له منزلة عظيمة عند الله وعند رسوله ﷺ لا أحد في الأمة أفضل منه بعد النبي ﷺ؛ ولهذا ذكر النبي ﷺ في آخر حياته أنه كافأ كل من كانت له يد عليه إلا ما كان من أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فإن له يدًا يكافئه الله بها يوم القيامة. وقد تقدم ذكر ذلك.

ولما كان الكرم سيد الأخلاق عرفه النبي ﷺ بقوله: «**الحسب: المال، والكرم: التقوى**»[(١)]؛ عرفه بالتقوى التي هي مدار الخير كله؛ وفيه إشارة إلى أن الكرم يزيد المرء علمًا؛ إذا جمعنا إليه قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾.

---

(١) «صحيح الجامع الصغير وزيادته» (١/ ٦٠٧) (٣١٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثم انظر إلى البخل كيف أورد صاحبه إلى مساوئ الأخلاق والكفر؛ كما أن البذل من نفس هنية محبة للخير يسوق صاحبه إلى الإيمان؛ فعَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ أَشْيَاءَ كُنْتُ أَتَحَنَّثُ بِهَا فِي الجَاهِلِيَّةِ مِنْ صَدَقَةٍ أَوْ عَتَاقَةٍ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، فَهَلْ فِيهَا مِنْ أَجْرٍ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ**»(١). أي أن كرمك وبذلك وعطاءك قادك وتسبب في إسلامك؛ فمن هني بالمال فالغالب عليه أن يهنأ بنفسه ويطوِّعها على الإسلام كما طوَّعها على السخاء. وقال رَسُولُ الله ﷺ: «**المُؤْمِنُ غِرٌّ كَرِيمٌ، وَالْفَاجِرُ خِبٌّ لَئِيمٌ**»(٢)، واللئيم البخيل.

نعم قد يكون المؤمن بخيلا كما في الحديث الصحيح؛ لكنه البخل الذي لم يجعل صاحبه يبخل بالواجبات الشرعية عليه، ومع ذلك فطالب العلم معدٌّ لأن يكون

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١١٤) ح (١٤٣٦).
(٢) «سنن أبي داود» (٤/ ٢٥١) ح (٤٧٩٠).

قدوة وسيدًا في الناس، والبخيل لا يستحق السيادة؛ قَدِمَ على رسول الله ﷺ نَفَرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالَ: مَنْ سَيِّدُكُمْ؟ فَقَالُوا: الجد بن قيس على بخل فيه. فقال رَسُولُ الله ﷺ: **وَأَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ؟ بَلْ سَيِّدُكُمْ الْجَعْدُ الأَبْيَضُ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ**، وقال شاعر الأنصار في ذلك[1]:

وَقَالَ رَسُـــول الله- والحـــق قوله
لمن قَالَ منا: مـــن تسمون سـيدا

فقــالوا لَهُ جـد بْن قيسٍ على التي
نُبَخِّــله فيــها وإن كَانَ أســـودا

فتى مَا تخــطى خطـــوةً لدنـــيةٍ
ولا مـــد فِي يـــومٍ إِلَى ســوءةٍ يدا

---

(١) «الاستيعاب في معرفة الأصحاب» (٣/ ١١٦٩) في ترجمة عمرو بن الجموح.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فســود عَمْرو بْن الجموح لجـوده

وحق لعمرو بالنــدى أن يســودا

إذا جـــاءه السؤال أذهـــب ماله

وَقَالَ: خـــذوه إنه عائد غـــــدا

فلو كنتَ يَا جد بْن قيسٍ على التي

على مثلها عمرو لكنت مســـوّدا

وبسبب البخل نهى النبي ﷺ عن النذر المعلق بشرط؛ لأن يستخرج به من البخيل، فانظر كيف قلب البخلُ العبادةَ من مستحبة إلى منهي عنها، وهذه مذمة كبيرة له؛ فبئس البخل، وبئس صاحبه.

ومن أعجب الأمنيات في هذه الحياة أمنية للنبي ﷺ ذكرها لغير واحد من الصحابة فعن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا أُحِبُّ أَنَّ لِي مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، أُنْفِقُهُ كُلَّهُ، إِلَّا ثَلَاثَةَ دَنَانِيرَ»(١).

(١) «صحيح البخاري» (٢/ ١٠٧) ح (١٤٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وفي حديث أَبُي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال النبي ﷺ: «**لَوْ كَانَ لِي مِثْلُ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا يَسُرُّنِي أَنْ لاَ يَمُرَّ عَلَيَّ ثَلاَثٌ، وَعِنْدِي مِنْهُ شَيْءٌ إِلا شَيْءٌ أُرْصِدُهُ لِدَيْنٍ**»(١)، فتأمل يبقي منه ثلاثة دنانير؛ وما هذه الثلاثة أمام هذا الجبل العظيم؟!، وفي حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لن يبقيَ منه شيئًا؛ إلا ما كان لدين، فإن لم يوجد عليه دين أنفقه كله! لم يقل: أبقي منه نفقة أهلي وخادمي ومركبي ومسكني!.

وهذا التمني لو تأمله المرء من ناحيتين يظهر له سعة كرم النبي ﷺ الذي لم تعرف المخلوقات مخلوقًا أكرم منه:

الناحية الأولى: كثرة هذا المال الذي تمناه؛ لكونه ذهبًا وهو أعظم المعادن عند الناس، ولكونه مثل جبل أحد!؛ فجبل أحد جبل عظيم ارتفاعًا وطولاً وعرضًا؛ من عاينه وسار حوله رأى عظمته؛ ولو أن رجلاً أراد أن يمشي حول هذا الجبل لمكث أكثر من نصف يوم

(١) «صحيح البخاري» (٣/ ١١٦) ح (٢٣٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يمشي مشيًا سريعًا؛ وعليه فحجم وكمية وقدر جميع ذهب الدنيا لا يكون شيئًا أمام حجم وقدر ووزن جبل أحد؛ نعم لا يكون شيئا؛ بل الحجارة التي تساقطت من الجبل وتراها مرمية في شعابه ووديانه أكثر من ذهب الدنيا كلها!.

الناحية الثانية: سرعة توزيع هذا المال العظيم في أقل من ثلاثة أيام!؛ يعجز الفكر والعقل عن وصف هذا الكرم وهذا الجود؛ نعم والله وتالله يعجز العقل عن الإيتاء بكلام يشفي السامع والقارئ بوصف هذا الجود والكرم؛ فتأمل ثم تأمل ثم تأمل كم كان عدد المسلمين حينما تمنى النبي ﷺ هذا؟! لو قدرنا هذا في آخر أيامه ﷺ لقلنا يبلغوا مئات الآلاف، وقل لو شئت يبلغوا أكثر من مليون مسلم! فكم سيحصل لكل مسلم غنيهم وفقيرهم من هذا الجبل من ذهب؟! الجواب: وبلا شك سيجد كل واحد

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أكثر من ذهب الدنيا الموجود[١].

فتأمل رحمك الله من سيكون أفقر المسلمين حينها؟ إنه محمد ﷺ الذي لن يبقيَ لنفسه إلا ثلاثة دنانير؛ أو شيئاً يرصده لدين؛ هنأ لكل الناس أن يكونوا أغنى منه؛ فمن أجود منه؟ ومن أسخى منه إلا أكرم الأكرمين عَزَّوَجَلَّ؟.

واعلم يا أخي أن من اتصف بالبخل في المال فإن ذلك يؤثر في جوده بدعوته وعلمه؛ ولهذا قال الله تعالى في علماء أهل الكتاب: ﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ وَيَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبُخۡلِ وَيَكۡتُمُونَ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ [النساء:٣٧]؛ فتأمل كيف ربط الله البخل بكتمان العلم؛ بل فسر ابن عباس وسعيد بن جبير وغيرهم: بأنهم بخلوا بالعلم والكتاب أن يبينوه للناس؛ قال ابن عباس: «يَعْنِي أهل الْكتاب يَقُول: يكتمون ويأمرون النَّاس

(١) حينما تقرأ التقارير حول الذهب الموجود بالعالم فلن يبلغ عشرين ألف طن ذهب. راجع المصادر المهتمة بذلك.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

بِالْكِتْمَانِ». وقال سعيد بن جُبَير: «قَالَ: كَانَ عُلَمَاء بني إِسْرَائِيل يَبْخلُونَ بِمَا عِنْدهم من الْعلم وَينْهَوْنَ الْعلمَاء أَن يعلمُوا النَّاس شَيْئا فعيرهم الله بذلك، وقال أيضًا: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ﴾ قَالَ: هَذَا فِي الْعلم لَيْسَ للدنيا مِنْهُ شَيْء»[(١)]. فتبين أن البخل في الدنيا يجلب على العالم والداعية البخل بالعلم ونشره بين الناس.

وهناك خلق عظيم ينبغي لطالب العلم أن يتصف به سواء أكان غنيًا أو فقيرًا، **وهو الزهد** الذي يستمد من الكرم مدده، قال النبي ﷺ: «**صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين ويهلك آخرها بالبخل والأمل**»[(٢)]. فالزهد فرع للكرم؛ ولهذا ذكر النبي ﷺ البخل مغايرًا له؛ فلن يكون البخيل زاهدًا وإن ادعاه أو تظاهر فهو كاذب؛ فلا يمكن للضدين أن يجتمعا.

(١) «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢/ ٥٣٨)
(٢) «صحيح الجامع» (٢/ ٧١٥) (٣٨٤٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مما ينبغي لطالب العلم أن يتركه:

أولاً: ترك كثرة الدَّين، خاصة ممن لا صبر لهم في استيفاء ما لهم من ديون؛ وعليه أن يحتاط لنفسه ولعرضه حينما يأخذ دينًا من أحد؛ أن يحتاط بمدة السداد؛ فلا يقل: يافلان كذا يوم أو شهر والدين خالص؛ مع أن المبلغ كبير؛ فقد يأتي وقت السداد وليس مع الطالب ما يفي لصاحب الدين ولو بالنصف؛ فيكون في عينه كذابًا؛ وتهمة طالب العلم بالكذب وخلف الوعد مصيبة؛ وصاحب الدَّين مصدَّق بين الناس حينما يشكوك إليهم. فإن تعسر عليك سداد الدَّين في الأجل المسمى، فكلِّم صاحبه قبل الموعد بأيام بأن الأمور تعسرت عليك، واطلبه تمديد أجل الدين، واطلبه المسامحة على عدم الوفاء بالأجل الأول. ولا تنتظر حتى يأتيَ الأجل

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وتسكت حتى يأتيَ هو يكلمك في دَينه، فهذا عيب فيك لا يليق؛ ولا يحملك الحياء أن لا تباشره وتخبره بما حل فيك؛ فهذا حياء مذموم يجعلك في موضع تهمة.

ثانيًا: ألا يكون أمينًا على مال إن وجد من يسد مكانه مثل الجمعيات الخيرية أو التجميع لمشروع خيري في وسط من يدعوهم؛ فكم من إنسان شريف اتُّهم من قِبل بعض الناس بأنه خان الأمانة، وبئست التهمة هذه خاصة لطالب العلم، فإن احتاج الناس لأي عمل خيري عليه أن يحرض الناس ويدلهم ويرغبهم للمشاركة فيه، وليقل لهم شاركوا واختاروا أحدكم ولا تعطوني إلى يدي شيئا؛ فإن اختاروه فليتعلل وليتعذر، والمعاذير كثيرة غير معدومة. وأوصى النبي ﷺ أبا ذر بوصايا منها: «**وَلا تَقْبِضْ أَمَانَةً**»(١)؛ فلعله لضعف أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أو إبعاده عن التهم؛ لعلمه أن هذا الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سيذَكِّر الناس بعدم الاغترار بالدنيا بعد

(١) «مسند أحمد» (٣٥/ ٤٥٢) (٢١٥٧٣). وهو حديث حسن انظر: «تخريج المشكاة» للألباني (٣٧١٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أن تفتح عليهم الدنيا، وهو ما كان منه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حتى وفاته. وعلى أي تقدير فطالب العلم بل العالِم الآن أضعف من أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، والناس في هذا الزمن غير الناس في زمن أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ .

ثالثًا: أن لا يستعجل فيستجيب لكل من يقول له أريدك أن تعمل معي أو تتاجر لي؛ حتى يكون من يعمل معه رجلاً كريمًا غير شكَّاكٍ في عمَّاله ؛ ويوجد من أرباب التجارات والصنائع من هو كذلك يشكُّ في عمَّاله ويتخونهم، فإن تولى أَخْذَ أمانةِ التجارة فلينظر في صاحب المال، وهل هو ممن يفقه معنى المضاربة بالمال؟، وهل هو ممن يعلم إن هلك المال بغير تفريط العامل، أو خسر في التجارة فليس على العامل ضمان، لأن كثيرًا من التجار قد لا يفقه مثل هذا؛ فإن وقع تجده يتهم العامل بالكذب ويريد أن يحمِّل العامل الخسارة.

وقد يرى الطالب من نفسه قوة على حمل هذه الأمانة، أو يغتر بكثرة من يمدحه بأنه أمين وصادق؛

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فيتحمَّل تجارات آخرين؛ فيتورط في أمور كان في غنىً عنها؛ وقد وقع ذلك مع أفاضل أخذوا أموال الناس للتجارة بها، ثم خسروا فرُدَّ اللوم عليهم، وبعضهم اتُّهم بالخيانة والكذب والسرقة، والله المستعان.

فقد يسقط الداعية من أعين المدعوين بأمر كان يحسب أنه يزيده رفعة في أعينهم، فكان الأمر عكس قصده ومراده.

وهنا نصيحة لطالب العلم في كيفية إدارة تجارته ويضمن لنفسه دخلاً يغنيه عن الناس دون بذل كثيرٍ من وقت ومن جهد ومال؛ أن يسلك في التجارة مسلك الصفقات، وذلك بأن يجمع ماله في شراء نوع واحد من البضاعة من مصدرها الأساسي، فيأخذ منها كميات كبيرة نقدًا، فيشتريه برخص لأنه اشتراها نقدًا وكميات، ثم ينزل بها إلى السوق فيبيعها بنقد بسعر أقل مما كان أهل السوق يأخذونها.

على أن تكون هذه البضاعة مما يحتاج إليها على

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الدوام كالأرز، وأن لا تكون مما تفسد سريعا كالفواكه والخضروات، وأن لا تكون من البضائع التي يأتي جديدها سريعًا فينقص في سعر قديمها مثل بعض أنواع الأثاث.

وينبغي لطالب العلم أن يختار عملاً لا يهان به ويكون بعيدًا عن الشبه وبعيدًا عن صخب الأسواق؛ وهو كما قدمنا إما أن يدخل السوق للصفق فيها، فعادة الصفقات أن لا يمكث صاحبها كثيرًا في السوق، أو يختار عمل حرفة يحتاج لها الناس كما كان الأنبياء فمنهم النجار ومنهم الحداد وغير ذلك؛ ولهذا لما كانت مهنة رعي الأغنام بعيدة عن كل شبهة وعن صخب الأسواق ومنكرها؛ جعلها الله وظيفة الأنبياء جميعًا؛ حتى من كانت عنده مهنة أخرى فقد رعى الغنم.

فرعي الأغنام فيها التدريب على رعاية الأمم، كذلك المال فيها طيب لا تدخله كثرة المعاملات الواقعة في الأسواق؛ حيث كثرت المعاملات وتوسعت واختلف في

كثير منها ما بين محلل ومحرِّم، أما رعي الأغنام فالقول فيها قول واحد لا ثاني له.

رابعًا: مما ينبغي أن يجتنبه طالب العلم عدم الذهاب للتجار الذين يعطون من أتاهم مالاً أو شيئًا من الطعام؛ فلو كان التاجر عاقلاً يقظًا لما صنع هذا الصنيع، وأرسل لأهل العلم عطاياهم إلى أماكنهم دون أن يهانوا بالوقوف على بابه. ففيه إساءة لأهل العلم حينما يمر العوام وبعض من يكره أهل العلم فيراهم واقفين صفوفًا على باب التاجر هذا؛ فيشمت بهم، ويقول ما حمل هؤلاء على التجمهر هذا إلا شيء من الفتات، مع أنه يُؤَمَّل فيهم أن يكونوا سادات الناس، وليس هذا بطبع سيد ومتَّبَع أن يقف من أجل فتات أمام باب من أساء في إحسانه!.

عَن ابْن الفراسي: «أَن الفراسي قَالَ لرَسُول الله ﷺ: أسأَل؟ فَقَالَ النَّبِي ﷺ: لا! وَإِن كنت سَائِلاً لا بُد، فاسأل الصَّالِحين». رَوَاهُ أَحْمد، وَأَبُو دَاوُد، وَالنَّسَائِيّ. وإن كان في

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا الحديث كلام؛ فالنهي عن المسألة من طرق أخرى صحت؛ وسؤال الصالحين يقتضيه الشرع الذي جاء لعز الناس وليس لذلهم؛ فسؤال غير الصالحين غالبًا يوقع السائل في حرج؛ كأن يعطيه أمام الناس، أو يضطره أن يأتيه أمام الناس، أو يمنُّ عليه في قابل الأيام، وغيرها مما يقع من غير الصالحين؛ أما الصالح فقليل ممن تصدر منهم أفعال تشين الصدقة وتحرج السائلين.

وقد تواردت النصوص وكثرت في تحريم المسألة مع وجود الكفاية وهي نصوص كثيرة؛ فمنها «أنه لا تجوز المسألة لغني، ولا لقوي مكتسب»، و«أن من سأل وله قدر ما يغديه أو يعشيه فقد استكثر من جمر جهنم»، وأن «ما من أحد يفتح على نفسه باب مسألة إلا فتح الله عليه باب فقر»، وأنه «لو يعلم السائل ما في المسألة ما مشى أحد إلى أحد يسأله»، وأن رجلاً كان يسأل الناس في عهد النبي ﷺ فمات فسأل النبي ﷺ: **هل ترك شيئًا؟** -يعني مما سأل-، فقالوا: ترك ثلاثة دنانير، فقال: **ترك ثلاث كيات**؛ لأنها زادت على حاجته حتى

www.alukah.net
شبكة الألوكة

توفي؛ فهذه نصوص نبوية وغيرها كثير في التحذير من المسألة وأصحها ما جاء في الصحيح: أن الذي يسأل الناس كثيرًا يبعث يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم، متفق عليه.

خامسًا: اجتناب أي مال يؤخذ من باطل سواء اتفق على بطلانه أو اختلف فيه؛ فإن أكل المال بالباطل هو صدٌّ عن سبيل الله إن صدر من أهل علم وعبادة؛ ونبأ هذا في كتاب الله عَزَّوَجَلَّ؛ قال الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة:٣٤]؛ أي: أكل المال بالباطل من أهل العلم والعبادة يصدُّ عن سبيل الله؛ لأن الناس حينما يرون أهل العلم والعبادة يأكلون المال بالباطل يقولون: إذن لا خير في العلم ولا في العبادة فيتركونهما، فيكون في ذلك صد عن سبيل الله.

فحينما حذر الله ورسوله من متابعة أهل الكتاب كان المعني بهم علماءهم وعوامهم تبع لهم، ولهذا في

قوله «أهل الكتاب» إشارة إلى أهل علم، وأفسد خصلة في علماءهم هي الحرص على الدنيا، ولهذا تعجب كل العجب ممن يقوم ويذّكر الناس بعدم متابعة أهل الكتاب وينسى نفسه؛ فكأن النصوص عنده جاءت تحذيرا للعوام فقط؛ ولم يذكر هذا المسكين أنه ربما شابه علماء أهل الكتاب في خصال عدة منها حرصه على الدنيا وابتغاؤه بالعلم والتعليم شيئا من حظوظ الدنيا، وهي أبرز صفة لهم، والله المستعان.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذه نصيحتان لطالب العلم:

الأولى: اعلم أن النبي ﷺ رغب في أمر عظيم قلّ من يتفطن له، وقلَّ من يعمل به، وأولى الناس بالعمل به هم من أعدوا أنفسهم ليكونوا دعاة هدىً وسنةٍ، وهو تدريب الطالب نفسه أن لا يسأل الناس شيئًا؛ ولو شيئًا قليلاً؛ فالنبي ﷺ بايع بعض الصحابة على أن لا يسألوا الناس شيئا؛ كما في حديث عوف بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الصحيح؛ حتى قال عوف: فقد رأيت بعضهم يسقط سوطه فينزل ولا يسأل أحدًا أن يناوله إياه؛ ومع هذه البيعة الخاصة التي وقعت مع عدة من الصحابة لن يبلغوا عشرة؛ فقد رغَّب في ذلك وجعله فضيلة عامة في أحاديث صحيحة؛ فقال ﷺ: «**من يتكفل لي أن لا يسأل**

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الناس شيئا أتكفل له بالجنة»[١].

الثانية: أن تعلم يا أخي أن نيل التقوى الذي هو أصل العلم ومراده لا يكون إلا بترك ما لا بأس به حذرا مما به بأس وقد جاء في الحديث: «**لاَ يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حتى يدع مالا بأس به حذرا مِمَّا بِهِ بَأْسٌ**». رواه الترمذي وابن ماجه وصححه الحاكم. فدع المشتبه وخذ الذي اتفق على حله وطيبه وهو كثير جدا جدًا، تَفز بالتقوى وترزق العلم الرباني. قَالَ العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِذَا اشْتَبَهَ عَلَيْك أَمْرَانِ فَدَعْ أَحَبَّهُمَا إلَيْك، وَخُذْ أَثْقَلَهُمَا عَلَيْك»[٢].

---

(١) صحيح الجامع الصغير وزيادته (٢/ ١١٢٣) ٦٦٠٤.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ٣٣).

ختامًا

يقال لطالب العلم: اعلم أخي أن الله تعالى حذر من الاغترار بالدنيا في آيات كثيرة في كتابه بأبين العبارات دون اشتباه أو إشكال؛ فأول من يدخل في امتثال هذا الأمر هم أهل القرآن، أهل العلم الشرعي، ولا مناص لهم إلا الامتثال؛ لأن كل بلاء في الناس؛ ووراءه حب الدنيا.

فكل كفر سببه حب الحياة الدنيا فما كفرَ فرعون إلا لأجل ملكه، وما كفر قارون إلا لأجل ماله، وما كفر أبو جهل إلا لأجل جاهه وسلطانه، وما قتل بنو إسرائيل الأنبياء إلا لأجل الدنيا، وما كفرت الأمم إلا لأجل الدنيا، وما نافق ابن أبي سلول إلا من أجل دنياه فقد تركه الناس حين قدم النبي ﷺ المدينة وكانوا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اجتمعوا قبل ذلك على أن يتوجوه ملكًا عليهم؛ فكاد للإسلام ونافق بسبب ذهاب منصبه الذي كان أُعِّد له.

وكل معصية وراءها حب الدنيا، وكل فسوق وفجور من أجل حب الدنيا. وما من بدعة إلا ورَايَةُ حب الدنيا مرفوعة فيها. وكل فتنة تحدث بين المسلمين إلا وللدنيا فيها راية.

وقد جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [آل عمران:١٩] أن علماء أهل الكتاب اختلفوا بسبب الدنيا لما استحكم حبها على قلوبهم؛ قال أبو العالية والربيع: «أي: بغيًا على الدُّنْيَا وَطلب ملكهَا وسلطانها وخزائنها وزخرفها فَقتل بَعضهم بَعْضًا على الدُّنْيَا من بعد مَا كَانُوا عُلَمَاء النَّاس؛ فَسلط الله عَلَيْهِم جبابرتهم»(١).

فتأمل كيف كان اختلافهم؟! كان لأجل دنيا، وليس لأجل شبهات وبدع وقعت لبعضهم، فقام البعض

(١) انظر: «الدر المنثور في التفسير بالمأثور» (٢/ ١٦٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الآخر وقاتلوا الذين ابتدعوا في الدين؛ بل تقاتل الطرفان لأجل الدنيا. والتحذير الذي حذرنا الله من متابعة أهل الكتاب، كان المعني الأول من أهل الكتاب هم علماء أهل الكتاب، والمعني الأول من هذه الأمة في التحذير من اتباع سنن أهل الكتاب هم علماء وطلبة العلم في أمة محمد ﷺ.

لهذا كان على طالب العلم أن يجعل لنفسه حاجزًا يقيه من حب الدنيا؛ لأن حبها غلب على قلوب كثير من الناس ممن لا خلاق له في الآخرة؛ فكان البعد عن التشبه بهم واجب؛ فمن تشبه بقوم فهو منهم.

ليس المقصود من هذا أن يترك طالب العلم التلذذ بما أحله الله من دنياه، وإنما المقصود أن يزهد فيها فلا يجعلها تغلب على همه وفكره وقلبه، والمقصود الأكبر أن يأخذ الدنيا من أحلِّ الحلال، ويجتنب ما اشتبه عليه من أمرها؛ وأعني ما اشتبه عليه أي ما اختلفت فيه أقوال العلماء؛ في حله وحرامه، أو في حله وكراهته، ومما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

اشتبه عليه ما اختلفت فيه الأدلة مثل الأخذ على تعليم القرآن؛ لأن ذلك أحرى للقدوة بين الناس، وطلبة العلم سيكونون هم القدوة في أهليهم والناس، حتى وإن كان يرجح قولاً يجيز ذلك؛ فينبغي له أن يتركه هو احتياطًا.

أقول هذا حتى لا يسقط الطالب من أعين الناس؛ فالناس تنظر إلى استقامتك في دنياك؛ فإن رأوك تأتي المشتبه منها مع سعة الحلال لك سقطْتَ من أعينهم، وفي الحلال غنية عن المشتبهات؛ بل بعض الحلال يغني عن بعض الحلال؛ فلِمَ يُضيّقُ الطالبُ على نفسه والحلال واسع؟!

فعلى طالب العلم الشرعي أن يعيش بكد يده ويستعين بالله على ذلك، وما كتب له في هذه الحياة سيأتيه إما بعزة وإما بذلة، وما كتب له سيأتيه إما بطرق حلال بيّنة، أو بطرق اشْتُبِه فيها الأمر؛ **فيا طالب العلم**: لا تظن أن الدنيا التي سَهُلَتْ على العوام أن طرقها

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أمامك منسدة، وأن أبوابها عليك موصدة؛ فهذا من تسويل الشيطان لك.

فانتبه لهذا الأمر؛ فكأني بك بعد انتباهك لهذا الأمر جيدًا تعطي الناس الدنيا كما تعطيهم العلم؛ تمنن على أناس كنت تنتظر متى يأتيك أحدهم بمال يضعه في يدك؛ ولا تستبعد حصول هذا فتكون أبعد الناس عن التوفيق، وظن بالله ظنًا حسنًا يكن الله عند حسن ظنك فيه، ولا تظن به ظنًّا سيئًا فيكون عند سوء ظنك فيه؛ فطالب العلم أولى بظن الخير بربه من جميع الناس.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وهذا ملحق: فيه قصيدة

للقاضي الفقيه الفاضل

أبي الحسن علي بن عبد العزيز الجرجاني الشافعي

توفي سنة ٣٦٦هـ؛ جمعتْ آدابًا عظيمة

فقال[(١)]:

يقولــون لي فيــكَ انقبــاضٌ وإنما
رأَوا رجلاً عـن موقـفِ الذُّلِّ أحجَما
أرى النَّاسَ مَـنْ داناهُـمُ هـانَ عِنْدَهم
ومَـنْ أكْرَمَتْـهُ عِـزَّةُ النَّفْـسِ أُكْرِمـا

(١) «مرآة الزمان في تواريخ الأعيان» (١٨/ ١٣٤- ١٣٥). «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٥/ ٣٥). «الفلاكة والمفلوكون» (ص: ١٤١-١٤٢). «ثمرات الأوراق في المحاضرات» (٢/ ١٥٤).

ولم أقْضِ حقَّ العِلْمِ إنْ كان كُلَّما
بدا طَمعٌ صيَّرْتُهُ لِيَ سُلَّما

وإني إذا ما فاتني الأمر لم أكن
أقلِّب كفي إثره متندّما

ولكنه إن جاء عفوا قبلته
وإن مال لم أتبعه لولا وربما

إذا قيلَ هذا منهلٌ قلتُ قد أرى
ولكنَ نفسَ الحُر تحتمِلُ الظَّما

ولم أبتذِلْ في خدمةِ العلمِ مُهجَتي
لأَخدُمَ مَنْ لاقَيتُ لكنْ لأُخدَما

أأشقى به غرسًا وأجنيه ذِلَّةً
إذًا فاتِّباعُ الجهلِ قد كان أحزَما

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولـو أن أهـلَ العلـمِ صانـوهُ صانَهُـم

ولــو عظَّمــوهُ في النُّفــوسِ لَعُــظِّما

ولكِــنْ أذلُّــوهُ جَهــارًا فدَنَّســوا

مُحيَّــاهُ بــالأطماعِ حتَّــى تجــهَّما

ومــا زلــتُ منحــازًا بعــرضيَ جانبًــا

عــن الــذُّلِّ أعتــدُّ الصيانَــةَ مغْــنَما

أُنَهْنِهُهــا عــن بعــض مــا قــد يشــينُها

مخافــة أقــوال العِــدى فيــمَ أولما

ومــا كلُّ بــرقٍ لاحَ لي يســتَفِزُّني

وما كلُّ من في الناس أرضاه مُنْعِما

وأقبـض خطـوي عـن أمـور كـثيرة

إذا لم أنلهـا وافـر العـرض مكْرَمـا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأكـرم نـفسي إن أُضاحِـك عابسًـا
وإن أتلقـى بالمديـح مذممـا
وأُقْسِـمُ مـا عِـزُّ أمْـرِئٍ حسُـنَتْ لَـهُ
مسـامَرةُ الأطماعِ إنْ بـاتَ مُعدِمـا
وكـم طالـبٍ رقـى بنـعماهُ لم يَصِـلْ
إليـه ولـو كان الرَّئيـسَ المُعَـظَّما
وكـم نعمـةٍ كانـتْ على الحـرِّ نِقْمـةً
وكـم مغْنَـمٍ يعتَـدُّه الحـرُّ مَغْرَمـا
وماذا عسى الدنيا وإنْ جَلَّ خَطْبُها
ينـالُ بهـا مَـنْ صيَّر الـذلَّ مَطْـعَما
وإني لـراضٍ عـن فتـىً متعفـفٍ
يبيـت ويغـدو ليـس يملـك درهمـا

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يبيت يراعي النجم من سوء حاله

ويصبح طلقًا ضاحكًا متبسما

ولا يسأل المثرين ما بأكفهم

ولو مات جوعًا عفةً وتكرما[١]

وقال:

إذا شئت أن تستقرض المال منفقا

على شهوات النفس في زمن العسر

فسل نفسك الإقراض من كنز صبرها

عليك وإنظارًا إلى زمن اليسر

فإن فعَلتْ كنتَ الغني وإن أبتْ

فكل منوع بعدها واسع العذر[٢]

---

(١) هذه الثلاثة الأبيات لم أقف عليها في المصادر التي بين يدي. وهي منسوبة إليه.

(٢) «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم» (١٥/ ٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ولابن جرير الطبري أبيات من هذا القبيل، فقال[١]:

إِذَا أَعْسَرْتُ لَمْ يَعْلَمْ رَفِيْقِي

وَأَسْتَغْنِي فَيَسْتَغْنِي صَدِيْقِي

حَيَائِي حَافِظٌ لِي مَاءَ وَجْهِي

وَرِفْقِي فِي مُطَالَبَتِي رَفِيْقِي

وَلَوْ أَنِّي سَمَحْتُ بِمَاءِ وَجْهِي

لَكُنْتُ إِلَى العُلَى سَهْلَ الطَّرِيْقِ

وَله:

خُلْقَانِ لاَ أَرْضَى فَعَالُهُمَا

بَطَرُ الغِنَى وَمَذَلَّةُ الفَقْرِ

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٤/ ٢٧٦)

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَـإِذَا غَنِيْـتَ فَلاَ تَكُـنْ بَطِـراً

وَإِذَا افْتَقَـرْتَ فَتِـهْ عَلَى الدَّهْـرِ

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصل اللهم على عبدك ونبيك محمد بن عبد الله، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين، وعلى من اتبع أثرهم واقتدى بهم إلى يوم الدين.

المدينة المنورة

يوم الثلاثاء ٢٨ شعبان من سنة ١٤٤١هـ

تم بحمد الله

www.alukah.net
شبكة الألوكة

شبكة الألوكة - قسم الكتب